نشأة الدولة البوسعيدية

- التطورات الاقتصادية والعسكرية التي شهدتها عمان في عهد سلطان بن سيف .
- التفكك الأسري والعصبية القبلية .
- الغزو الايراني لعمان .
- بيعة الأمام أحمد بن محمد بن سعيد البو سعيدي .

الدكتـــور مصطفى عقيل
قســـــم التـــــاريخ
جامعـــة قطـــر

نشـــأة الدولـــة البوسـعيديـــة

الدكتـور مصـطفى عقيـــل

ـ التطورات الاقتصادية والعسكرية التي شهدتها عمان في عهد سلطان بن سيف .

بعد أن فقد البرتغاليون نفوذهم في منطقة الخليج العربي في عام ١٦٢٢ انفسح المجال أمام القوى المحلية من العرب والايرانيين أن يمارسوا نشاطا ملاحيا رائدا ، وحاولت هذه القوى أن تبسط سيادتها وسيطرتها على الجزر والموانىء المطلة على جانبي الخليج العربي . لكن تعاظم الخلافات بين الايرانيين والعمانيين حال دون الاستمرار في انجاح مساعيها في تحقيق أحلامها وطموحاتها .

فقبل أن نتناول العوامل التي أدت إلى ظهور الدولة البو سعيدية في عمان في منتصف القرن الثامن عشر يجدر بنا أن نوضح حالة الدولة اليعربية وما وصلت اليها من القوة ، فقد شهدت عمان منـذ العقد الثـاني من القرن الثـامن عشر (١٧١١-١٧١٩) نهضة اقتصادية وعسكرية لم تشهدها هذه المنطقة من قبل . فقد نجح الامام سيف بن سلطان في توحيد معظم القبائل العمانية التي كانت متفرقة ومختلفة فيما بينها ، كما قام بتتبع فلول البرتغاليين في منطقة الخليج وشبه القارة الهندية والسواحل الشرقية لافريقيا اضافة إلى مـا قام بـه من الاصلاحـات الاقتصادية ، حيث أولى عناية خاصة بحفر الآبار وغرس الأشجار المثمرة ولا سيما النخيل في جميع انحاء عمان[١] .

أما الجانب العسكري فقد لعبت القوات البحرية العمانية دورا كبيرا حيث غدا اسطولهم مصدر خوف شديد لجميع القوى الأوروبية المتواجدة في مياه الخليج العربي . وكان هذا الأسطول يتألف من ٢٤-٢٨ مركبة وباحجام مختلفة . وقد تناولت العديد من المصادر العمانية والأجنبية عن الاسطول العماني واستعداداته

البحرية حيث وصفت هذه المصادر أن احدى سفن الأسطول قد ثبت على ظهرها ثمان مدافع فيما وصل الجنود العمانيون إلى أكثر من ستة وتسعين ألف فارس[٢] .

وهذا ما دفع شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الاعتقاد بأنها ستفقد السيطرة على مياه الخليج إذا ما استمرت التهديدات العمانية لسفنها . ولذلك اتخذت الشركة المذكورة اجراءات وقاية ضد السفن العمانية .

أما العمانيون فلم يكتفوا بمهاجمة السفن الأجنبية في مياه الخليج العربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر وانما وصل تأثيرهم إلى سواحل مليبار ومدراس[٣]. ونتيجة لهذا النشاط البحري فقد تعرض العمانيون لانتقادات قاسية من قبل مجموعة من الرحالة الأجانب حيث وصفوهم بالقسوة والوحشية ، بينما تناسو ما فعله الأوروبيون ولا سيما البرتغاليون عند غزوهم لشبه القارة الهندية والمحيط الهندي والخليج العربي ضد العرب والمسلمين[٤] .

اعتمد العمانيون في نشاطاتهم البحرية على عنصر المفاجأة وساعدهم على ذلك معرفتهم بالمنافذ والثغور البحرية في مياه الخليج والمحيط الهندي . وقد اشترك مع الأسطول العماني مجموعة من السفن الأجنبية بجانب السفن المحلية* ، ذلك ان صناعة السفن المحلية لم تصل إلى درجة تمكنها من مواجهة الأساطيل الأوروبية المتطورة . ومع ذلك فقد تميزت البحرية العمانية على الرغم من حداثتها بنظام عسكري دقيق لم يكن بأقل من مثيلاتها من البحرية البريطانية والهولندية وغيرهما .

لقد تزايدت الطموحات العمانية في المنطقة بسبب الانجازات الكبيرة التي حققتها دولة اليعاربة في أواخر عهدها اقتصاديا واداريا وعسكريا وأن أهدافها لم تتوقف على مواجهة المصالح الأجنبية والاغارة على السفن العابرة في البحار ، وانما ارادت أن تكون لها امتيازات وحقوق تفوق مصالح الدول ذات النفوذ في المنطقة وأصبح الساحل الشرقي من الخليج من المناطق التي كانت يتطلع اليها العمانيون لعدة أسباب منها :

* هذه السفن الأجنبية هي التي اشترتها البحرية العمانية أو استولت عليها من القراصنة الأجانب في المحيط الهندي والخليج العربي .

١ ـ الصلات التاريخية القديمة التي تربط بين الساحلين .

٢ ـ الانتقام من الدولة الصفوية التي فتحت ميناء «كنج كقاعدة تجارية للبرتغاليين منذ عام ١٦٢٥» .

٣ ـ تطلعات الدولة الصفوية إلى عمان منذ تحرير جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢ حيث حاول الشاه عباس الأول تتبع فلول البرتغاليين إلى مسقط لأغراض توسعية[٥] .

ولذلك انتشرت الفوضى في الموانىء والمدن الفارسية المطلة على الخليج بعد ان قام العمانيون بمواجهتها ، وتسربت الشائعات بين أهالي بندر عباس بأن السفن العمانية تنوي الاغارة على هذا الميناء مثلما أغارت من قبل[٦] على ميناء كنج ضد الوكالة البرتغالية[٧] .

ومما هو جدير بالذكر أن ايران كانت تمر بظروف حرجة نتيجة التنافس الهولندي البريطاني منذ عام ١٦٢٨ في احتكار الأسواق الايرانية من جهة وكذلك الغزو الافغاني لأراضيها في عام ١٧١٩[٨] ، فانتهز الامام سلطان بن سيف هذه الفرصة بأن طلب من الشاه ان يعامل العمانيين معاملة الأوربيين في الأراضي الايرانية بأن يمنحهم الشاه الحقوق والامتيازات التي منحها للبريطانيين والهولنديين والبرتغاليين . وقد حذر الامام الشاه بأنه إذا رفض الاستجابة للمطالب العمانية فانه سوف يهاجم ميناء بندر عباس ويدمره[٩] .

كان على الحكومة الايرانية أن تأخذ التهديدات العمانية مأخذ الجد بعد أن اثبتوا جدارتهم في الحروب البحرية ، واصبحت دولة اليعاربة المنافسة الوحيدة لها في الخليج بل تفوقت عليها وهددت المدن والموانىء والجزر الواقعة في الخليج العربي في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر بينما لم يكن بامكان الحكومة الايرانية مقاومة القوات العمانية وان الايرانيين كانوا يعانون من النقص الشديد في القوات البحرية ، فاتجهت الحكومة الايرانية إلى شركة الهند الشرقية لمعاونتها ضد العمانيين واخضاع مسقط لها . وقد وعدت ايران الشركة بأنها سوف تمنح لها امتيازات سخية في مسقط إذا اخضعت للسيادة الايرانية[١٠] .

لم تتحمس شركة الهند الشرقية بالعروض الايرانية إذ أن عمان قد غدت قوة كبيرة ولم يكن من مصالح شركة الهند البريطانية أن تتورط في نزاعات محلية غير مضمونة النتائج اضافة إلى أن المنافسة بين القوى المحلية تخدم المصالح البريطانية في الدرجة الأولى ، هذا بالاضافة إلى ضرورة بقاء القوات البريطانية في شبه القارة الهندية لقمع الحركات التحررية وتثبت أقدامها هناك .

ومع ذلك فإن الشركة كانت حريصة أن لا تفقد مكانتها لدى الشاه كي لا تتقدم الحكومة الايرانية بطلب المساعدة من الهولنديين المنافسين لها في المنطقة . ولعل الشركة ادركت بأن الايرانيين لا يلتزمون بتعهداتهم حيث أن حكومة الشاه امتنعت سابقا عن دفع نصيب الشركة البريطانية من عوائد جمارك بندر عباس والتي تم الاتفاق عليها بين الدولتين ، وكان هذا مبررا كافيا لها لامتناع الشركة عن مساعدة الفرس ضد العمانيين .

وفي الوقت نفسه فإن المسئولين البريطانيين كانوا حريصين على استمرار العلاقات الطيبة بين الشركة وايران ، ولذلك فإن وكيل الشركة اقترح على مجلس الادارة في سورات ان تبيع عددا من السفن الانجليزية الصغيرة للحكومة الايرانية للدفاع عن أراضيها ، لكن المجلس رفض التورط في النزاعات العمانية والايرانية[١١] ، ولعل سبب الرفض هو تخوف الشركة من احتمال تأسيس قوى بحرية محلية أخرى فيتعرض الخليج للخطر فتزداد المنازعات البحرية بين هذه القوى .

أما البرتغاليون فقد ابدوا استعدادهم في عام ١٦٩٦ لمعاونة إيران حيث اعاروا البحرية الايرانية عددا من السفن . فعلم العمانيون بذلك فأصبحت وكالات البرتغاليين التجارية وقواعدهم العسكرية في كنج والسواحل الشرقية لافريقيا معرضة للانتقام من البحرية العمانية[١٢] . فحدثت غارات من قبل البحرية العمانية عليها ، فكانت بداية قيام امبراطورية عمانية شاسعة في عهد الدولة البوسعيدية في سواحل افريقيا الشرقية .

ـ التفكك الأسري والعصبية القبلية

على الرغم من استمرار تفوق البحرية العمانية في عهد الامام سلطان بن سيف بن سلطان (١٧١١-١٧١٨) إلا أن بوادر التفرقة والتفكك قد ظهرت في عمان بشكل ملحوظ . وقد سعى الامام سلطان ان يستتب الأمن والاستقرار في ربوع عمان . وان يقضي على النزعات القبلية والخلافات الاسرية وابقاء دولة اليعاربة قوية ، فقامت البحرية العمانية في عهده بالعديد من العمليات الناجحة في مياه الخليج حيث تمكنت من إخضاع جزر لارك وهرمز وقشم لمسقط كما تمكن العمانيون من الاستيلاء على البحرين في عام ١٧١٨[١٣]. وقد حاول الايرانيون استعادة الجزر التابعة لبندر عباس والتي فقدوها إلا أن الغزو الأفغاني لايران في عام ١٧١٩ حال دون تمكن الايرانيين من استرداد هذه الجزر[١٤].

تدهورت الأوضاع الداخلية في عمان بعد وفاة الامام سلطان مباشرة نتيجة الصراعات الاسرية والعصبية القبلية ، حيث لعبت العصبية القبلية الدور الأكبر في وضع نهاية لهذه الدولة . فتناحر العمانيون فيما بينهم بعد ظهور الهناوية والغافرية وكان المذهب الاباضي في عمان هو المذهب الرسمي . ونظام الامامة في عمان يحظى بشعبية كبيرة . لكن النظام الوراثي لم يلق ترحيباً كبيراً هناك . وان الامام يختار من قبل أهل الحل والعقد ثم يبايع من قبل العامة[١٥] .

فبعد وفاة الامام سلطان شغر منصب الامامة فانقسم العمانيون إلى فئتين إحداهما ناصرت سيف بن سلطان وهو صغير السن ووصيه يعرب بن بلعرب بينما ناصرت الفئة الثانية وهم من العلماء والأعيان مهنا بن سلطان . وحجة العلماء في ذلك أن امامة الصبي لا تجوز ، وقالوا لا يجوز امامته في الصلاة فكيف يبايع إماماً ينوي الاحكام ويلي الأموال والفروج . ولا يجوز أن يقبض ماله ومال الايتام والأغنياء من لا يملك امره[١٦] .

وهكذا رفض هؤلاء العلماء مبايعة سيف لهذا السبب وأعلنوا امامة مهنا بن سلطان . وكان هذا الامام زوجا لأخت الامام الراحل . ويروى انه كان اداريا ناجحا ، حيث قام باصلاحات ادارية واقتصادية في الدولة . ومع ان معرفته بالأمور

الشرعية والدينية كانت قليلة فانه كان يرجع إلى العلماء في مثل هذه الأمور . ومع ذلك فان عامة أهل عمان لم يعترفوا به اماما على الرغم من جهوده في مساعدة الشعب . وامر بالغاء أو تخفيض الضرائب عن كاهلهم[١٧] . لكن اهتماماته بالاصلاحات لم تشفع له عند أهل عمان من العامة الذين انضموا إلى سيف بن سلطان ويعرب بن بلعرب .

تمكن يعرب من قتل مهنا وأعلن سيف اماما على عمان اسميا بينما أصبح هو نفسه الحاكم الفعلي للدولة . ولم يلبث فترة طويلة من الزمن حتى ثار العمانيون مرة أخرى على يعرب بسبب تجاهله التام لوصيه سيف ومخالفاته الكثيرة أثناء حكمه ، وقد تولى أهل الرستاق زعامة المعارضة ضد يعرب ، وهكذا أصبحت عمان مرتعا للخلافات الأسرية والحمية القبلية . حيث طلب أهل الرستاق من بلعرب بن ناصر وهو خال الامام أن يعزل يعرب بمساندة قبيلة الهناوية التي تنتسب اليها اليعاربة . وقام صراع مرير راح ضحيته أكثر من مائة وخمسين قتيلا ، إلى أن تمكن بلعرب من عزل يعرب واعلان سيف اماما على عمان للمرة الثانية في عام ١٧٢٣[١٨] .

لم تستقر الأوضاع في عمان بعد عام ١٧٢٣ ، بل تضاعفت معاناة العمانيين فظهرت الفرقة الغافرية بزعامة محمد بن ناصر الغافري . وكان محمد واليا على البحرين من قبل دولة اليعاربة . وبعد تولى بلعرب بن ناصر الامامة جاء محمد بن ناصر ومعه قبيلة الغافرية إلى رستاق لمبايعة الامام سيف وبلعرب بن ناصر إلا أن الاخير لم يحسن استقباله وهذا ما دفع محمد بن ناصر إلى اتخاذ مواقف عدائية ضد الامام سيف وبلعرب بن ناصر ، وهكذا خرج محمد بن ناصر الغافري ومعه قبيلته وانصاره ثم انضم اليه مجموعة من القبائل العمانية من أهالي بهلى وبدو الظاهرة وبني ريم وبني قطب والنعيم اضافة إلى يعرب بن بلعرب الذي خلع من قبل بلعرب بن ناصر . واقامت هذه القبائل حلفا قويا ضد الهناويين (سيف بن سلطان) .

وتمكن هذا الحلف من الحاق هزائم متكررة بالامام سيف واتباعه ولم يجد الامام سيف بدا سوى التوجه إلى بلوشستان حيث جند مجموعة من البلوش المرتزقة

ضد العمانيين[١٩] .

فأراد محمد بن ناصر ان يوقف نزيف الدم في عمان فاجتمع بالعلماء والأعيان ورؤساء القبائل من انصاره ، فأعلن تنازله عن الامامة .

ويعتقد أن هذه كانت خطة سياسية من محمد بن ناصر ليتأكد من ولاء القبائل العمانية له ، وقد تحققت رغبته حين رفض المجتمعون تنازل محمد بن ناصر وأعلنوا تجديد ولائهم له في عام ١٧٢٧ خوفا من تضاعف المحنة التي كانت تعاني منها عمان .

ـ الغزو الايراني لعمان

أما سيف بن سلطان الذي بلغ في ذلك الوقت سن الرشد الذي يؤهله أن يتولى مهامه كامام على عمان فقد زاد من طموحاته وتمسكه بحقه الوراثي واعتقد انه لا يزال يحظى بشعبيته لدى الفئة التي ناصرته قبل ذلك . ولكن بسبب تصرفاته وسلوكه المخالف للشريعة الإسلامية التي يتمسك بها المذهب الاباضي خسر شعبيته . وتوالت الهزائم بأعوانه وجنوده من المرتزقة . ولذلك طلب من الحكومة الايرانية ارسال قوات لردع خصومه من الغافرية .

يعتبر نادر شاه أول من أسس من الحكومات الايرانية قوة بحرية في مياه الخليج واسند قيادتها إلى لطيف خان ، وكان هذا القائد يتطلع في التوسع إلى الساحل العربي من الخليج واتخذ من طلب الامام سيف باباً ينفذ منه إلى احتلال عمان واخضاعها للحكومة الايرانية[٢٠] . وقد رحب نادر شاه بهذه الفكرة واقترح تشكيل قوة برية وبحرية للتوجه إلى عمان . وقد بذل كل ما في وسعه لانجاح هذه المهمة حيث أشرف بنفسه على تعبئة القوات . كما أمر بتشكيل هيئة لدراسة المنطقة تكون عونا للقوات الايرانية وتمدها بالمعلومات اللازمة .

وكان نادر يهدف من ذلك ضم عمان والبحرين إلى ايران اضافة إلى طموحاته في السيطرة التامة على مياه الخليج .

وفي ١٤ مارس ١٧٣٧ ابحرت القوات الايرانية المؤلفة من اربع سفن كبيرة وسفينتين متوسطتين وعدد آخر من السفن والزوارق الصغيرة من ميناء بوشهر بقيادة قائد البحرية الفارسية لطيف خان ، وانضم إلى هذه القوة انصار سيف بن سلطان . وقد تمكنت القوات المتحالفة من الحاق الهزائم بمحمد بن ناصر ويعرب من بلعرب في رأس الخيمة ، اكتشف سيف بن سلطان فيما بعد أن القوات الايرانية لم تأت لمساعدته وإنما جاءت لاخضاع عمان للسيادة الايرانية وحدث خلاف شديد بينه وبين لطيف خان حيث انسحب الأخير إلى جلفار .

ورغم ذلك فإن سيف بن سلطان لم يتعظ بما فعله بل ازداد سوءا وقسوة على الشعب العماني . فقام العمانيون بثورة ضده واعلنوا خلعه وعقدوا البيعة لسلطان بن مرشد في عام ١١٥٤هـ/١٧٤٢م وهو أحد أفراد اسرة اليعاربة (٢١) .

رفض سيف بن سلطان ما اتفق عليه أهل الحل والعقد من العمانيين ، بل قاوم بكل ما أوتي من القوة لكن امكاناته كانت ضعيفة ، وحرصا منه على أن يحتفظ بمنصبه استنجد مرة أخرى بالقوات الايرانية المتواجدة في عمان . وقد بعث نادر شاه امدادات أخرى لقواته بقيادة محمد تقي خان . وكان سيف قد وعد الحكومة الايرانية بانه سوف يقدم ولاء الطاعة ويعترف بالسيادة الايرانية على عمان . ويدفع الضرائب والاتاوات لحكومتها ، إذا تمكنت القوات الايرانية من اعادة حقوقه(٢٢) .

وعلى الرغم من التجارب السابقة لسيف بن سلطان مع القوات الايرانية التي جاءت إلى عمان ليست لنصرة الامام المخلوع وانما لأهداف توسعية فإن سيفا طلب من هذه القوات التدخل ضد بني قومه(٢٣) .

وبهذا فانه فقد ثقة العمانيين إلا من بعض أعوانه المقربين ، أما الامام سلطان بن رشد فقد انسحب إلى مدينة صحار استعدادا لمواجهة حلف سيف ونادر شاه .

كل هذه الأحداث التي كانت تجرى في عمان من الخلافات الاسرية والعصبية القبلية والتدخل الايراني اشارة إلى أن اسرة اليعاربة التي استطاعت أن تجعل عمان

تتمتع بالازدهار الاقتصادي والنمو التجاري طيلة قرن من الزمان وصلت إلى نهايتها بسبب مغامرات حكامها وتصرفات قادتها وامرائها ، وبذلك فقدت هذه الأسرة أهليتها لحكم البلاد .

لقد تفاقمت المعاناة والمشاكل وكانت هذه الدولة بحاجة إلى شخص قوي يعيد امجادها ويخلصها من القوى الغازية والعمل على توحيد القبائل والأقاليم ، مثل شخصية أحمد بن سعيد البوسعيدي الذي ظهر على مسرح السياسة في تلك الفترة ولعب دورا بارزا في الخليج وأسس امبراطورية شملت عمان والجزر والموانىء الواقعة في الخليج اضافة إلى اجزاء من السواحل الشرقية لافريقيا . ويعتبر أحمد بن سعيد مؤسس الدولة البوسعيدية التي أسست في عام ١٧٤١ وإلى وقتنا الحاضر .

وكان من أهم أهداف أحمد بن سعيد هو تحرير عمان من القوات الايرانية الغازية التي استنجد بها سيف بن سلطان لقمع الحركات المعادية له . وقد رابطت هذه القوات في مدينة رأس الخيمة اثر الهزائم التي الحقت بها في عمان اضافة إلى الخلافات الشديدة التي ظهرت بين سيف بن سلطان وهذه القوات .

استعدت القوات الايرانية للتدخل في الصراعات القبلية في عمان لمناصرة سيف بن سلطان بعد أن وصلت امدادات جديدة مكونة من ستمائة جندي وعدد من السفن الصغيرة وسفينتين كبيرتين اشترتها البحرية الايرانية من بريطانيا . التحمت هذه القوات بجانب انصار سيف بن سلطان ضد قوات الامام سلطان بن مرشد ونجحت في احتلال العديد من المدن الهامة مثل بهلى ونزوى ثم دخلت مدينة مسقط دون مقاومة ، لكنها لم تتمكن من الاستيلاء على حصن مسقط . وعلى الرغم من هذه الانتصارات التي احرزتها القوات الايرانية في المناطق المختلفة في عمان فإن الظروف الداخلية في ايران وبسالة العمانيين حالت دون بقائها فترة طويلة هناك .

نشبت خلافات شديدة بين لطيف خان قائد البحرية الايرانية وميرزا تقي خان حاكم اقليم فارس حول السلطة في اقليم فارس وعمان ونجح ميرزا من التخلص من

منافسه القوي لطيف خان عندما دس السم في طعامه ومات نتيجة ذلك . وبذلك فسح المجال أمام ميرزا تقي خان لاتخاذ قراراته دون الرجوع إلى السلطة المركزية في ايران ، فهاجم مدينة صحار . ولاصرار العمانيين وبسالتهم في الحرب توقفت هذه القوات أمام أسوار المدينة ، ولقيت مقاومة عنيفة من المدافعين ، فقفل تقي راجعاً إلى جلفار بينما بقيت قواته تحاصر حصن صحار .

وهنا ادرك سيف بن سلطان خطأه وأن الأمر قد أوشك أن يفلت من يده وتيقن أن الايرانيين يضمرون له السوء ويخططون للاستيلاء على عمان وضمها إلى مملكتهم فأسرع لمصالحة خصمه بالعرب بن حمير وتعهد الاثنان أن يعملا معا على طرد الايرانيين من ديارهم(٢٤) .

وقد لجأ سلطان بن سيف إلى حصن صحار الذي قاوم الغزاة بزعامة واليها أحمد بن سعيد البوسعيدي . ولم يدم فترة طويلة حتى مات الامام سلطان بن مرشد متأثراً بجراحه اثر اصابته بعد معركة خاضها مع انصاره ضد القوات الايرانية(٢٥) . وبذلك أصبح السيد أحمد بن سعيد المؤهل لتولي الامامة في عمان .

وعلى العموم بدأ نجم أحمد بن سعيد يعلو بين القبائل العمانية لتميزه بالجرأة والشجاعة .

وقد استمر حصار القوات الايرانية لمدينة صحار مدة تسعة أشهر واستطاع واليها أحمد بن سعيد أن يقاوم الغزاة على الرغم من أن امداداته قد أوشكت على النفاذ . وظلت القوات الايرانية تقذف المدينة ليلا ونهارا بالمدافع الثقيلة(٢٦) . فاضطر السيد أحمد لطلب الهدنة وعقدت اتفاقية بين الجانبين الايراني والعماني في يوليو ١٧٤٢ بعد أن فقد السيد أحمد بن سعيد الأمل من وصول امدادات من قبل القبائل العمانية .

ومن ضمن شروط هذه الاتفاقية :

١ - إعادة تعيين السيد أحمد بن سعيد حاكما على مدينة صحار .

٢ - ان تدفع عمان ضريبة سنوية لايران(٢٧) .

لم تكن هذه الاتفاقية استسلاما كما ذكرت بعض المصادر المحلية وغيرها ، وانما كانت خطة سياسية من السيد أحمد بن سعيد الذي استهدف من وراء هذه الاتفاقية عدة أمور منها :

١ ـ أنه كان يريد وقف اراقة دماء المسلمين بعد أن نفدت جميع المؤن والاعتدة والذخائر الحربية الموجودة في الحصن .

٢ ـ اعادة بناء قواته استعدادا لمواجهة الجولة الثانية بهدف التحرير الشامل .

٣ ـ بعد وفاة الامام سلطان بن مرشد شغر منصب الامامة وحيث وجد أحمد بن سعيد أن أسرة اليعاربة لا يمكنها الاستمرار في ادارة الدولة فخشى أن يحتدم الصراع والفتن بين العمانيين نتيجة لهذا الفراغ السياسي .

٤ ـ اعادة توحيد الأقاليم والمدن العمانية التي أصبحت منقسمة إلى شبه دويلات وامارات صغيرة . إذ كان السيد أحمد بن سعيد يحكم صحار بينما أصبحت مسقط تحت سيطرة الايرانيين ، في حين أن محمد بن سالم الندابي واليا على بركة ، اضافة إلى أن بقية المدن كانت تحت ادارة رؤساء القبائل والعشائر[٢٨] .

وبذلك نجح أحمد بن سعيد في توطيد مركزه وضمن تأييد القبائل والعشائر العمانية ، هذا إلى جانب أن الحكومة الايرانية قد اعترفت رسميا بالسيد أحمد كحاكم لعمان[٢٩] ، حيث أصبح الطرف الرئيسي في هذه الاتفاقية ، وبذلك تزعم حركة التحرير ضد الايرانيين .

لقد أحس شيوخ عمان أن الأوضاع قد ساءت وأن عمان بحاجة إلى امام قوي يستطيع أن يوحد البلاد ، لا سيما وأن المذهب الاباضي لا يجيز وجود أكثر من امام واحد للدولة .

بعد وفاة سيف بن سلطان حاول دعاة احياء الدولة اليعربية اعادتها فاجتمع شيوخ وأعيان قرية نزوى وعقدوا البيعة للسيد بلعرب من حمير اليعربي في ربيع الآخر من عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ، واعلنت مجموعة من المدن العمانية ولائها للامام الجديد مثل بهلى ونزوى وازكى ، بينما تحفظ البعض عن الاعتراف به . ولم يمض وقت

طويل على هذا الامام حتى انصرف عنه العمانيون .

ومن المحتمل أن يكون السبب وراء ذلك هو بعض تصرفاته التي لم تتفق مع احكام المذهب الاباضي .

وبذلك بدأت فرصة أحمد بن سعيد البوسعيدي تزداد في عمان وكان محل تقدير جميع القبائل العمانية والأعيان الذين كانوا يتطلعون إلى تحرير بلادهم من الغزاة واعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع عمان .

وفيما يتعلق بالعلاقات الايرانية العمانية فبعد وفاة سيف بن سلطان فقد الايرانيون نصيرهم ، وقلت همتهم ، وتعاظمت المشاكل والقلاقل الداخلية في ايران حيث أن حكومة نادر شاه كانت مضطرة لسحب جنودها المرابطين في عمان لمواجهة تلك المشاكل . وهذا ما سهل على السيد أحمد بن سعيد من تحقيق طموحاته .

ومما هو جدير بالذكر أن أحمد بن سعيد كان سياسيا فطنا وعلى الرغم من أن الكثير من العمانيين قد ادهشهم ما كان يقوم به أحمد من اكرام الايرانيين وولائه لهم ، إلا أنهم ادركوا في النهاية ما كان يدبر للايرانيين لتحرير بلاده حيث تم له ذلك في عام ١٧٤٤[٣٠] .

ـ بيعة الأمام أحمد بن محمد بن سعيد البوسعيدي

يقول ابن زريق في تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان : «ان أحمد بن سعيد لما آل اليه أمر عمان كله وعول أهلها عليه اجتمع أكابر الرستاق وسائر أكابر عمان ، فاتفقوا على عقد الامامة لأبي هلال وهو الامام المعظم الفاضل الممجد أحمد بن محمد السعيدي الازدي العماني الاستقامي الاباضي المذهب[٣١]» .

لم تتناول المصادر العمانية التي يعتمد عليها في كتابة التاريخ العماني حياة أحمد بن سعيد البوسعيدي قبل أن يتولى ولاية صحار من قبل الامام سيف بن سلطان اليعربي ، غير انها اشارت إلى أنه كان ينتمي إلى اسرة عمانية لم يكن لها

شأن في السياسة والولاية في عمان . وجاء تعيينه في ولاية صحار لأنه كان يتمتع بمميزات هامة أهلته لهذا المنصب منها شخصيته القوية وتواضعه وكرمه . وقد اتفقت جميع المصادر العمانية على هذه الصفات ، لا سيما المؤرخين العمانيين الذين اهتموا بالدولة البوسعيدية .

وقد أشارت هذه المصادر إلى الكثير من التنبؤات بأن السيد أحمد بن سعيد سيكون له شأن كبير في المستقبل ، وأنه سيكون اماما على عمان . ومن هذه التنبؤات على سبيل المثال ما ذكره ابن رزيق في كتابه « الفتح المبين » « ان أحمد بن سعيد أراد أن يركض ناقته ويجريها في الميدان ، أمسكت بزمام ناقته امرأة من أعراب الظاهرة . وقالت له : يا امام عمان . لا يجمل بك أن تراكض بناقتك ، ابل هؤلاء القوم فانهم رعاياك وانت امامهم وامام عمان قاطبة . فنزل من على ظهر ناقته إلى الأرض فقال لها : اخبريني ايتها الاعرابية ممن أنت من العرب ؟

فقالت : من بني زفيت .

قال : كأنك تتهكمين بي لقولك اني امام عمان .

فقالت : لا والله وان هذا الشأن الذي ذكرته لك لصائر اليك عما قريب على رغم انف كل حاسد[٣٢]» .

اعتبر المؤرخون ان امامة أحمد بن سعيد كان انتصارا لفرقة الهناوية على الغافرية . وفي اعتقادنا أن أحمد بن سعيد لم يختر في منصب الامامة على أساس العصبية القبلية فقط . ذلك أن معاناة عمان في تلك الفترة لم تنحصر في الصراعات القبلية وانما برزت على مسرح الأحداث طبقات وفئات اجتماعية مختلفة مثل الطبقات المشتغلة بالتجارة والزراعة والرعي . ولعبت هذه الفئات دورا بارزا في رسم السياسة العمانية . مع ذلك فإن المصادر الاصلية التي بين ايدينا لم تسعفنا لدراسة هذه الطبقات وما تمتعت به من المزايا والنفوذ في المنطقة . واننا ننوه أن دراسة التاريخ الاجتماعي لعمان في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر أمر يجب على الباحثين الاهتمام به .

اختلفت المصادر المحلية وغيرها في تاريخ بيعة الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي . فقد ذهب السالمي أن البيعة كانت في عام ١١٦٧هـ/١٧٥٢م[٣٣] في حين ذكر مايلز أن الامام تولى منصبة في عام ١٧٤٩[٣٤] . اما ويندل فيليبس فلم يحدد تاريخا محددا بينما ذكر أن بيعة الامام تمت بين عامي ١٧٤٩-١٧٧١[٣٥] . أي أن البيعة تمت قبل تحرير عمان من القوات الايرانية .

وبهذا تمت البيعة للامام أحمد بن محمد بن سعيد البوسعيدي وقامت الدولة البوسعيدية على انقاض الدولة اليعربية التي أسسها ناصر بن مرشد اليعربي في عام ١٦٢٤ في ظروف مشابهة لقيام الدولة البوسعيدية . فكانت عمان في ذلك الوقت تعاني من التفكك القبلي وسوء ادارة حكام وامراء بني نبهان الذين تحملوا النصيب الأكبر من المسئولية في انهيار الدولة النبهانية بسبب سلوكهم وتصرفاتهم التي تخالف الشريعة الإسلامية والمذهب الاباضي . هذا إلى جانب ان عمان كانت تعاني من الاستعمار البرتغالي منذ عام ١٦٢٢ اثر الهزيمة التي الحقت بهم في جزيرة هرمز وطردهم منها .

أما الامام أحمد بن سعيد فكان عليه أن يتحمل مسئولية تحرير بلاده من الغزو الايراني . وتوحيد القبائل والأقاليم العمانية .

فكان أحمد بن سعيد جديرا بامامة عمان . فقد اتسم بالحزم والقوة في ادارة البلاد ، ووضع أسس الدولة الحديثة حيث وضع القوانين والأنظمة لأجهزة الدولة ويرجع له الفضل في تأسيس أول جيش نظامي دائم للبلاد .

وفيما يتعلق بالأوضاع الداخلية فقد لعب الامام دورا محمودا في هذا المجال فركز جهوده في توطيد دعائم الحكم والقضاء على الخلافات القبلية وعمل على معالجة الأوضاع الداخلية بمقدرة وكفاءة عاليين .

والله ولي التوفيق ؟

الهوامش

١ ـ د. مصطفى عقيل ؛ التنافس الدولي في الخليج العربي من ١٦٢٢-١٧٦٣م بيروت ١٩٨١ ـ ص ٢٦٢ .

٢ ـ عبد الله بن حميد السالمي : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جـ ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٩٨ .

٣ ـ عبد الفتاح إبراهيم : على طريق الهند ، بغداد ١٩٣٥ ، ص ٣٠-٣١ .

٤ ـ ك . م يانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، مصر ، ١٩٦٢ . يقول صاحب الكتاب «ابلغ البوكيرك الملك البرتغالي بانه عرض السيف على كل عربي بمدينة جوا . وحيثما امكن العثور على عربي كان افلاته من يده من المحال . وانه كان يملا المساجد ويضرم فيها النيران» ص ٤٦ .

٥ ـ ج ج لوريمر : دليل الخليج ، ترجمة مكتب سمو أمير دولة قطر ، ١٩٧٥ جـ ١ ، ص ٥٠ .

٦ ـ مصطفى عقيل : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

٧ ـ

٨ ـ عبد الله رازي ، تاريخ مفصل ايران ، از تأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر ، ط ٢ . تهران ١٣٣٥هـ ، ص ٣٩٩ .

٩ ـ Lockhart, The Menance of Muscat and its Consquence in The Late 17th and Eariy 18th Centuries, Asiatic Review, No: 42, p.367.

١٠ ـ د. جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ ـ ١٨٦١ ـ القاهرة ، ١٩٦٨ . ص ٣٤ .

١١ ـ مصطفى عقيل ، المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

١٢ ـ د. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

١٣ - سرحان بن سعيد الازكوى العماني : تاريخ عمان المقتبس في كشف الغمة الجامعة لاخبار الأمة ، ص ١١٤ .

١٤ - ج ج لوريمر ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٦٨ .

١٥ - عبد الله بن حميد السالمي ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١١ «الاباضية أصحاب مذهب علي من أباض من بني مرة بن عبيد من تميم الذي خرج على عهد مروان بن محمد ، انظر الملل والنحل للشهرستاني ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

١٦ - سرحان بن سعيد الازكوي ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

١٧ - د. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

١٨ - سرحان بن سعيد الازكوي ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

١٩ - عائشة السيار : دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٩١ .

٢٠ - محمد حسين قدوس : نادر نامة ، تهران ١٣٣٩ هـ ، ص ١٢٢ .

٢١ - مصطفى عقيل ، المرجع السابق ص ٢٧٧ .

٢٢ - سرحان بن سعيد الازكوي ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

٢٣ - د. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

٢٤ - Lochart, Laurence: Nader Shah, A Critical Study Based Mainly Upon Contemporary Source, London 1938, P.184.

٢٥ - مصطفى عقيل ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

٢٦ - عبد الله بن حميد السالمي ، جـ ١ ، ص ٤٩-١٤٨ .

٢٧ - سرحان بن سعيد الازكوي ، المرجع السابق ، ١٤٨ .

٢٨ - ويندلي فيليبس ، تاريخ عمان ، عمان ١٤٠٤-١٩٨٣ ، ص ٧٧ .

٢٩ ـ د. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ١٤٩ .

٣١ ـ نفس المرجع ، ص ١٥١ .

٣٢ ـ حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت ، الفتح المتين في سيرة السادة البوسعيدين ، ١٣٩٧-١٨٧٧ ، ص ٣٤٤ .

ورد في هذا الكتاب شرح هذا الموضوع بالتفصيل ، كذلك انظر الموضوع ويندلي فيليبس ، ص ٧٨ سرحان الازكوي ، ١٥٢ .

٣٣ ـ ابن رزيق ، المرجع السابق ، ٣٥١ .

٣٤ ـ نفس المرجع ، ص ٣٥٠ .

٣٥ ـ عبد الله بن حميد السالمي ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

٣٦ ـ س . ب مايلز ، الخليج العربي بلدانه وقبائله ، عمان ١٤٠٣-١٩٨٣ ، ص ٢٢٣ .

٣٧ ـ د. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .